

مساهمة علماء معسكر في إثراء الحياة الثقافية بالجزائر خلال العهد العثماني

Contribution of Mascara scholars to enriching cultural life in Algeria during the

تاريخ النشر: 2025/06/11

تاريخ القبول: 2025/05/31

تاريخ الإرسال: 2025/01/05

يونس رخور¹

EMAIL: rakhrou.younes@univ-mascara.dz جامعة معسكر، الجزائر

الملخص:

إنّ المتأمل في تاريخ الجزائر الثقافي عامة وخاصة خلال العهد العثماني وحاضرة معسكر على وجه الخصوص، نجد حركة متميزة في العديد من الجوانب ونخص منها العلوم والآداب وكذلك الكتابات التاريخية والرحلات العلمية، التي كان لها دور مهم وجوهري بحاضرة معسكر، إذ ظهر العديد من أعلام ساهموا مساهمة كبيرة في تنشيط وإحياء الفكر العربي الجزائري والإسلامي بعدما أصابها نوع من التراجع. وبرز على الساحة الفكرية علماء وفقهاء ورخالة، حاول كلّ منهم وضع بصمة لصالح الأمة العربية الإسلامية عامة والمغربية خاصة، محاربين بذلك مظاهر التخلف. ولعلّ من بين هؤلاء الشيخ عبد القادر بن عبد الله المشرفي الغريسي، والعلامة ابن سحنون الراشدي، والشيخ ابن زرفة الدحاوي المصطفى. الكلمات المفتاحية: الحركة الفكرية، حاضرة معسكر، العلوم، الآداب، الأعلام.

المؤلف المرسل: يونس رخور، الإيميل: rakhrou.younes@univ-mascara.dz

Abstract:

Anyone who contemplates the cultural history of Algeria in general during the Ottoman era and the city of Mascara finds a distinct movement in the aspects of science and literature as well as historical writings and scientific journeys, which played an important and essential role in the city of Mascara, as many prominent figures emerged who contributed greatly to the activation and revival of Arab Algerian and Islamic thought after it had suffered a kind of decline. Scholars, jurists and travelers emerged on the intellectual scene, each of whom tried to leave a mark in favor of the Arab Islamic nation in general and the Maghreb in particular, thus fighting the manifestations of backwardness. Perhaps among these are Sheikh Abdelkader bin Abdullah Al-Mashrafi Al-Gharisi, the scholar Ibn Sahnoon Al-Rashidi, and Sheikh Ibn Zarfa Al-Dahawi Al-Mustafa.

Keywords: intellectual movement, city of Mascara, sciences, literature, figures

1 مقدمة:

تميزت الجزائر خلال العهد العثماني بانتشار العديد من الزوايا والطرق الصوفية على مختلف مناهجها، إضافة إلى ذلك عرفت الجزائر الكثير من المؤسسات الثقافية والدينية بجميع حواضرها، وهذه دلالة على ازدهار وتطور الحياة الفكرية والثقافية بالجزائر في تلك الفترة الزمنية هذا من جهة، ومن جهة أخرى هو إشارة لكثرة العلماء والمفكرين والادباء والمتصوفة وغيرهم من النخبة الجزائرية.

ولعل من بين أهم حواضر الجزائر خلال العهد العثماني هي حاضرة معسكر التي تعتبر مدينة العلم والثقافة والفكر بالجزائر، فهي مدينة عتيقة من الزمن القديم ذات ماض

حضاري مشرف وعرفت تنوع كبير في الجانب العمراني والاقتصادي وكذلك الثقافي، ويظهر ذلك من خلال مؤسساتها الثقافية والدينية التي لاتزال قائمة إلى اليوم.

وعبر هذا التاريخ الطويل عرفت حاضرة معسكر المغمورة في التاريخ العديد من المتصوفة والعلماء والمفكرين والأدباء واستقطبت أعدادا كبيرة من الأقاصي البعيدة توطّنوا بها، بحيث برزت مكانتهم العلمية والفكرية، وبالخصوص بعد أن جند علماءها أنفسهم للجهاد والمقاومة ضد التواجد الإسباني بمدينة وهران وكذلك المرسى الكبير، فألهبوا حماس المجتمع ونصحوهم بالجهاد، وقاموا بتأليف الكتب وتجنيد العامة، واحتشدوا بالرباطات التي توجد بالمدينة. وخاضوا المعارك الكثيرة واستشهد الكثير منهم في ساحات المعارك، ووقفوا إلى جانب الحكام والخلفاء في إستنفار الأهالي وجمع الأموال وتوفير الأسلحة، إلى غاية طرد المحتلين الإسبان وتحرير المدينتين وإعادتهما إلى إيالة الجزائر.

كما استقطبت حاضرة معسكر العديد من طلبة العلم والمعرفة سواء قبل الوجود العثماني بالجزائر أو خلال تواجده، الأمر الذي زاد من شهرة حاضرة معسكر واستقطاب العديد من المفكرين والأدباء والعلماء والفقهاء وغيرهم من أصحاب العلم، الذين كان لهم الدور الجوهري في إثراء الحضارة العربية الإسلامية الجزائرية والحفاظ على التراث الجزائري بالعهد العثماني، وفي هذا السياق كان بالوطن الراشدي العديد من أعلام الفكر والمتصوفة والأدب والتاريخ حتى اشتهرت الراشدية بقعة العلماء.

ونخصّ من بينهم: العلامة عبد القادر بن عبد الله المشرفي الغريسي، والشيخ أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، المصطفى بن عبد الله ابن زرفة الدحاوي، ومن بينهم كذلك العلامة المتصوف أبو راس الناصر محمد بن أحمد الراشدي المعسكري الذي يعتبر شيخ مؤرخي بالجزائر العثمانية.

ومع أنّ حاضرة معسكر قد أخذت شهرة كبيرة وذلك عن طريق علماءها على سبيل المثال لا الحصر الشيخ أبو راس الناصر المعسكري، إلّا أنّ هنالك علماء آخرين من موطن الراشدية كان لهم دورهم ومكانتهم في هذه الحاضرة كلّ في ميدانه وحسب تخصصه

وإمكاناته وقدراته الفكرية. بحيث شاركوا في إثراء حضارة هذه المدينة والمنطقة بشكل عام، كما كان لهم اثر بالغ في العديد من الميادين العلمية والفكرية وخاصة الفقه والحديث والشريعة والتاريخ والأدب، التعليم وطرقه وأساليبه والتصوف وغيرها من العلوم، وبالتالي سنحاول أن نقف عند البعض منهم لنرى ونكشف ما قاموا به أعلام الفكر بحاضرة معسكر من إنتاج علمي، من أجل احياء الحياة الثقافية ببايالة الجزائر بشكل عام، وبالتالي نطرح الإشكالية التالية: إلى أي مدى ساهم علماء حاضرة معسكر في إثراء الحياة الثقافية بالجزائر العثمانية؟ وفيما يتمثل إنتاجهم العلمي والفكري؟ وهل كان لها أثر على حركة التأليف ببايالة الجزائر خاصة وبحضارة العربية الإسلامية عامة؟

2 نماذج من علماء معسكر خلال العهد العثماني:

تعتبر حاضرة معسكر من الحواضر المتميزة والمنفردة بخصائصها الجغرافية والعلمية والفكرية والدينية والجهادية خلال العهد العثماني، ويظهر ذلك من خلال موقعها الجغرافي المتميز والاستراتيجي المهم هذا من الناحية الجغرافية، و الناحية التاريخية التي ستصبح عاصمة بايلك الغرب بعد مدينة مازونة العتيقة، ومن الناحية الثقافية، مع وجود العديد من المعالم الحضارية والعلمية والدينية وغيرها ويظهر ذلك بكثرة مساجدها ومدارسها وزواياها ورباطاتها وغيرها من المظاهر المادية والعلمية، وكثرة علمائها ومفكرها ومن بين هؤلاء نجد:

1.2 العلامة عبد القادر المشرفي:

إشتهرت بحاضرة معسكر العديد من العائلات العلمية والفكرية التي توارثت العلم والمعرفة، وتقلد أفرادها في مناصب عليا مثل التدريس، الإفتاء، والفقه، القضاء وكذلك الإمامة. تأتي في مقدمتها عائلة المشارف (لزغم، 2005-2006، صفحة 72) التي كان لها العديد من البيوتات العلمية ذكرها أبو حامد المشرفي (بوعزيز، 2004، صفحة 135) في كتابه ياقوتة النسب الوهاجة، ثم يضيف قائلا بأن: المشارف كلهم حازوا الرئاسة على سائر شرفاء الراشدية ولذلك كانت تعتبر نقابة الأشراف فيهم لا تتعداهم وكذلك لا تخرج منهم، وحصرها بينهم ملوك الأتراك ومن بينهم بايات الغرب. (المشرفي، د.ت، ورقة 13)

يعتبر العلامة عبد القادر المشرفي من أبرز وأهم الشخصيات العلمية التي ذاع صيتها بمناطق عديدة، بحيث وُلد وتربى وترعرع بمنطقة الكرط (سعيدوني، 1999، صفحة 412-

(414) التي عرفت ظهور العديد من الزوايا والرباطات، أخذت على مسؤوليتها نشر العلوم وتدريسها لأبناء المنطقة. وبين أحضان وربوع هذه المؤسسات الدينية تعلم وتكون الشيخ عبد القادر المشرفي، وأخذ من المعين الصافي أصول التربية الإسلامية المتجذرة والسليمة، لينتقل إلى بعدها إلى مدينة معسكر لإتمام مسيرته الفكرية، بحيث خاض فيها العديد من المناظرات الفكرية مع مجموعة من علماء عصره آنذاك، مما جعلته في يتصدر قائمة العلماء الكبار وتخرج على يده جملة من التلاميذ النجباء.

1.1.2 إسمه ومولده:

يطلق عليه أبو المكارم عبد القادر بن عبد الله بن محمد بن أحمد أبي جلال المشرفي الغريسي المعسكري (بوجلال، 2022/01/30، صفحة 349) المشهور بـ بن عبد الله ويعرف أيضا بـ سقط، (الكتاني، 1982، صفحة 577) وكان يُدعى شيخ الجماعة وإمام الراشدية (بوجلال، 2022/01/30، صفحة 349)، بحيث وُلد ونشأ في قرية الكرط التي تبعد بحوالي بستة كيلومترات فقط عن معسكر المدينة (جاكر، 2003، صفحة 44).

وقد وُجد اختلاف كبير حول إسمه الكامل وكذلك كنيته، بحيث جاء بصيغ متعددة، منها بن عبد الله، أبي جلال المشرفي وعبد القادر المشرفي، إلا أن كل هذه الأسماء التي ذكرناها ترجع لشخص واحد هو الشيخ عبد القادر المشرفي بناء على ما ذكر سابقا (بوعزيز، 2004، صفحة 133).

وبالنسبة لتاريخ ميلاده، هنا يطرح المشكل نفسه، شأنه في ذلك شأن جل علماء هاته الفترة الزمنية، وبالتالي يصعب تحديده وضبطه بشكل دقيق وواضح (بوجلال، 2022/01/30، صفحة 350)، بحيث تم الإعتماد على ما جاء به المؤرخ يحيى بوعزيز عن أنه توفي يوم الخميس 10 رمضان من سنة 1192 هـ/ 02 أكتوبر 1778 م، (بوعزيز، 2004، صفحة 134) وأنه قد شارك في الهجوم ضد الاسبان على مدينة وهران والتحرير الأول لها سنة 1708 م، وكان ذلك بقيادة الباي مصطفى بوشلاغم، (بوعزيز، 2004، صفحة 134) فإننا نستطيع أن نضع احتمال ولادته مع نهاية سنة 1691 م وبداية سنة 1692 م.

2.1.2 نسبه وأسرته:



يرجع نسب الشيخ عبد القادر المشرفي إلى أسرة المعروفة ببابيك الغرب عامة وحاضرة معسكر خاصة والتي تتمثل في أسرة المشارف (بوجلال، 2016/06/01، صفحة 549)، وتذهب بعض المصادر التاريخية أن أصولها تعود إلى العرهوبيين (شرف، 2006-2007، صفحة 59) أبناء مشرف (بكسر الراء وفتحها) بن عبد الرحمن بن مسعود (الزاوي و المشرفي، 2004-2005، صفحة 96). وحسب ماجاء في بعض الدراسات أن أسرة المشارف إدرسية النسب من الفرع الحسني، (المزاري، 1990، صفحة 96) ودليل هذا الأخير حسب ما قاله أبو حامد المشرفي في ياقوته النسب بذكره: "ولا بد من ذكر نسبنا المتصل بنسب العرهوبيين فنقول: نسب جامعهم ومقيده محمد العربي بن عبد القادر بن علي بن محمد بن مسعود بن عبد الله بن محمد بن الشيخ مولانا يعقوب بن أبي إسحاق بن عبد الله بن أبي عمر بن موسى بن الشيخ مولانا صفوان، الملقب بلسان القبط عند العجم بشار بن موسى بن سليمان بن يحيى بن موسى بن عيسى بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن السبط المثنى بن الحسن السبط بن مولانا علي بن أبي طالب، وفاطمة بنت رسول ﷺ..." (المشرفي، د.ت، الورقة 19).

وكما تجدر الإشارة ، أنّ أصل ونسب المشرفيين (Henri, 1935, page 261) يعود إلى بمنطقة بوصمغون والتي تقع بالجنوب الغربي للجزائر، (بن سودة، 1996، صفحة 2805) التي توجهوا نحوها على عهد الزيانيين إلى منطقة غريس. حيث تُشير بعض المصادر التاريخية المحلية أنّ سلفهم هو مشرف بن عبد الرحمن بن مسعود، الذي قدم من بوصمغون (التوجيني، د.ت، الورقة 04) إلى منطقة غريس فتولى منصب القضاء بها لبعض أمراء بني زيان ملوك تلمسان (المزاري، 1990، صفحة 99).

3.1.2 دراسته وتكوينه:

والجدير بالذكر أن الشيخ عبد القادر المشرفي تلقى تعليماً وتكويناً فقهياً وأدبياً تماشياً مع شروط العالم الفقيه ، بحيث كان كثير الترحال بين أهم المراكز العلمية بالولاية الجزائرية (بوجلال، 2022/01/30، صفحة 350)، فقرأ على الكثير من الشيوخ وكذلك أخذ عن علماء المشرق العربي وكذلك المغرب فأجازوه بالعديد من الاجازات (بوجلال، 2022/01/30، صفحة 350)، ولعلّ من أبرزهم: محمد بن محمد بن عربي البناني المكي المالكي، علي بن محمد الميلي، محمد بن محمد شهاب الدين الأنصاري المدني، الهادي بن

محمد الحسني، محمد بن حسن الميقاتي الإسكندري المالكي... وغيرهم من علماء عصره (المشرفي ع.، د.ت، صفحة 5-6).

وعلى غرار أبناء منطقته إقتضت العادة أو بما يعرف التربية الدينية لأبناء المنطقة كما كانت العادة السائدة في تلك الفترة بحواضر المغربية، أن يلتحق العلامة عبد القادر المشرفي بكتاب بلده والتي يطلق عليها اسم الكرط أين تلقى تكوينه الفقهي والفكري (بوعزيز، 2004، صفحة 133)، وعندما بلغ مستوى معين من العلم والمعرفة لقب الشيخ عبد القادر المشرفي بإمام الراشدية وكذلك اعتبر من أبرز زعماء هذه العائلة (لزغم، 2005-2006، صفحة 73). بحيث كان متميز ومنفرد في علم الأصول والفروع، ولهذا التميز إختاره الشيخ مصطفى بن مختار الراشدي، وذلك من اجل للتدريس بمعهد القيطنة عند تأسيسه له (الراشدي، 1973، صفحة 33). ثم بعدها أسس الشيخ عبد القادر المشرفي لنفسه زاوية دينية وكذلك معهدا علمياً للطلبة المحليين والخارجيين بمسقط رأسه الكرط (بوجلال، 2022/01/30، صفحة 350)، بحيث أصبح في مستوى زاوية ومعهد القيطنة (بوعزيز 2، 1995، صفحة 231)، فكان مواظبا على بث العلم لدرجة أن قال فيه أبو حامد المشرفي: ".... فلا تخلوا زاويته من مائتي طالب في بعض الأوقات..." (المشرفي أ.، د.ت، الورقة 11).

ويبدو أيضاً أنّ الشيخ عبد القادر المشرفي الذي تميزا بين جماعته بكثرة العلم وبالخصوص العلوم الشرعية، وإضافة إلى ذلك سمعته اللطيفة فضلا عن تدينه وعدله قد كان قبلة لإحتكام الخصوم إليه (شرف، 2006-2007، صفحة 62)، وكذلك من خلال توسّطه في بعض القضايا الكثيرة والمختلفة بين الكراغلة وبين عرب المنطقة آنذاك، وأيضاً تصديّه لبعض النزاعات التي يوجد صعوبة في حلّها. كما كانت تلجأ إليه جُلّ فئات المجتمع المعسكري لتستفتيه وتُحكّمه فيما ينشب بينها من خلافات إجتماعية، وتستفتيه في قضايا دينية كالزواج والبيع والشراء، بإعتبار أنّ عبد القادر المشرفي كان أحد أفراد المجتمع المعسكري ظلّ يحسّ بما يحسّ به مجتمعه ويتأثر بما يتأثر به محيطه. فكانت معاملته إتجاه فئات المجتمع المعسكري وثيقة جدا تمثلت في غالب الأحيان في حسن المعاملة (بوجلال، 2022/01/30، صفحة 351)، بحيث يذكر ابنه أبو حامد المشرفي بقوله: "لقد كان في علم الفقه إليه المرجع والمفزع، لا يعجز فيه عن جواب وإن أعضل لا

يغيب عنه النص في عين النازلة، وكان مصدرا للأحكام الشرعية في وقته بإذن من ولاية الأمر وقضاة الأمصار... وكانت أحكامه الفاصلة بين الخصوم وغالبها أن يقضي بينهم بالصلح... ولذلك كانت الخصوم لا تقوم من بين يديه راضية بفصله مذعنة لحكمه..." (المشرفي أ. د.ت، الورقة 21).

ومما يؤكد هذه المكانة الفقهية والفكرية التي تبوأها المشرفي، تلك القصيدة المنفردة والرائية التي وضعها الشيخ أبو راس الناصر يرثي فيها أستاذه العالم عبد القادر المشرفي بعد وفاته يوم: الخميس 10 رمضان من سنة 1192هـ/ 02 أكتوبر 1778م (بوعزيز، 1، 2004، صفحة 134)نورد أبياتا منها:

لَقَدْ كَانَ لِلْإِسْلَامِ كَهْفًا وَمَلْجَأً	تَرَاهُ فِي أَقَلِّ الشُّؤُونِ يُبَادِرُ
لَهُ الْبَاعُ فِي كُلِّ الْعُلُومِ بِأَسْرَهَا	سَرِيعَ الْجَوَابِ عَنْهَا لَيْسَ بَضَائِرُ
فَيَا لَوْ رَأَيْتُهُ بَدْرَسَهُ جَالِسًا	وَحَوْلَهُ حَلَقَاتُ الْأَسْوَدِ الْعَوَاصِرِ

إلى أن يقول:

أَيَا تَرَى الْكِرطَ كَيْفَ وَرَيْتَ سَيِّدًا	مَأْتِرَةً مِثْلُ الْبَحَارِ الرَّوَاحِرِ
هَمَامَ ثَوَى ضَعَى الْخَمِيسِ	مِنْ شَهْرٍ رَمَضَانَ الْهَيْدِي
مِنْ سَنَةِ اثْنَيْنِ وَتَسْعِينَ قَيِّدُوا	مَنْ بَعْدَ الْمِائَةِ أَلْفٍ أَهْلُ

والجدير بالذكر أنّ العلامة أبو راس الناصر ، كان أحد طلاب العلامة الشيخ عبد القادر المشرفي الذي وجد الأستاذ والمرشد المقتدر على الكتابة والإهتمام بالتاريخ (ابوراس، 1990، صفحة 53). بحيث كان الشيخ عبد القادر المشرفي محلّ تقدير وإجلال لدى طالبه أبوراس الناصر المعسكري ، بحيث يصفه في مؤلفه فتح الإله بقوله: "...شيخنا ذو الرأي النير الصفيّ، والمنصب الحفيّ والسرّ الخفيّ... أتقن علومًا جمّة وبرع فيها له في التوقيع النهاية، وأقرّ له من رآه بالبراعة والكفاية ودقّت له من الطلبة دافّة وأذن له أهل عصره كافة..." (ابوراس، 1990، صفحة 53)

والشيء الملاحظ أنّ العلامة عبد القادر المشرفي المعسكري قد شارك على عادة أعلام معسكر في حرب ضد التواجد الإسباني بمدينة وهران والفتح الأول لها سنة 1708م، بقيادة الحاكم مصطفى بوشلاغم (بوعزيز، 2، 1995، صفحة 232). بحيث يروي تلميذه الشيخ أبو راس الناصر المعسكري في خضم حديثه عن الظروف التي إسترجع فيها الاحتلال لإسباني مدينة وهران سنة 1144هـ / 1732م، بعد أن بقيت تحت يد الجزائريين حوالي أربعة وعشرين سنة (منذ سنة 1708م إلى غاية 1732م)، حديثاً جاء فيه: "... لقد أخبرني شيخنا الأكمل وأستاذنا الأمثل خاتمة أهل التحقيق وعمدة أهل التوفيق، الشيخ سيدي عبد القادر بن عبد الله المشرفي شرف الله في الجنان مكانه، وكان حاضراً لتلك الواقعة أنّ الكفرة لمّا تكامل عسكرهم في البرّ وبقي جلاً مددهم في البحر، لم يعملوا صقاً للقتال ولم يطلبوا مجالدة الرّجال، وإنّما زحفوا للبلد بجميع الرجالة والفرسان. وهم كهينة الرّحى في الدوران بارودهم كرعّد متصل ورصاصهم كمطر منهل، لا يستطيع أحد قهرهم ولا يكرّ شجاع نحوهم، وأنّ الباي مصطفى بوشلاغم باي وهران وفاتها مع بكداش باشا سنة 1119هـ سقط في ذلك اليوم عن فرصة لشدة تحريضه على الجهاد وكثرة عدوه..." (الراشدي، 1973، صفحة 33).

4.1.2 آثاره العلمية والفكرية:

على ما يبدو أنّ الشيخ عبد القادر المشرفي المعسكري خلف وراءه إرث ثقل من المؤلفات والمصنفات، بحيث ترك رسالته المعروفة باسم: "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإspanيين بوهران من الأعراب كيني عامر"، كما وضع نظماً يطلق عليه اسم: "عقد الجمان الملتقط من قعر قاموس الحقيقة الوسط" (جاكر، 2003، صفحة 46)، بحيث قام بشرحه ولده محمد الطاهر المشرفي المعسكري (بوعزيز، 2004، صفحة 134)، وأيضاً الرسالة الأولى التي إنتهى من وضعها ما بين سنتي 1764-1765م (سعيدوني، 1999، صفحة 412-414)، بحيث قام فيها بتنديد الشيخ عبد القادر المشرفي بالقبائل التي تعاونت مع الاحتلال الإسباني أثناء تدخلهم لوهران بحيث يستعرض العناصر الاتية:

- ذكر الإspan ومواطنهم وأصلهم.

- ذكر قبائل بني عامر وأصلهم وموطنهم وأعمالهم تجاه سكان مدينة وهران طيلة إستيلاء الإسبان على المدينة،

- الحكم الفقهي و الشرعي بالنسبة لمن سائدة من بني عامر بجانب الاحتلال الإسباني وبقي متعاوننا معهم (هلايلي ، د.ت، صفحة144).

وعلى مايبدوا عالج المعلومات وقام باستعرض الأحداث، بحيث عمل الشيخ عبد القادر المشرفي بتقديم عرض شامل حول القبائل التي تعاونت وساندت التدخل الإسباني، بحيث يذكر أصولها وكذلك الموطن الجغرافي الذي تسكنه، وتقديره لسكانها بعدد القرى ووصفه لأخلاق بعض القبائل التي تحالفت مع الإسبان. (هلايلي ، د.ت، 144) لكن ما لوحظ هو أنّ الكاتب يستعمل في بعض الأحيان أنهم جند الإسبان، وأحياناً أخرى من رعية الإسبان عند الكلام عن هذه القبائل التي حصرها الشيخ عبد القادر المشرفي بقوله: "ثم إن هؤلاء الفرق الثمانية الضالة وهم: كرشتل وشافع وحميان وغمرة وقيزة وأولاد عبد الله وأولاد علي والونازرة لما إجتمعوا عند الإسبان، وصاروا على كلمة واحدة في الدفع والجلب إشتد بهم عضد النصارى وقويت شوكتهم، وكثر بأسهم على المسلمين إلى أن صار وطاء سيرات وملاته من جملة مسارح، ومزارع العدو وليس للمسلمين فيه مطمع إلا من لجأ إلى حزنهم، وصار من رعيتهم ودخل في حمايتهم وأدى لهم الجباية، وكان معيناً لهم على مرادهم وصار يتجسس لهم الأخبار على المسلمين..." (المشرفي ع.، د.ت، صفحة37).

أما يخصّ عن منهج الرسالة- بهجة الناظر- فقد غلب عليها طابع السرد لكامل لأحداث، بحيث نجد الشيخ عبد القادر المشرفي يُقدّم عرضاً عن المهام التي كان يقوم بها الأعراب المتحالفون مع الاحتلال الإسباني، وكذلك الدوافع التي تركتهم يتعاونون مع الحامية الإسبانية بمدين وهران، وذلك بدليل قوله: "أنّ بني مسخن (مسرقين) من طوائف الأعراب... إنحازوا إلى الإسبان، فصاروا خدمة لهم ومن جملة جيشهم... فسئوا بهم الغارات، وإنفَعوا بهم فيما يحتاجونه من الدوابي و الأقوات... وسبب ذلك الطمع في عرضهم الفاني الذي صير المسلم مجرماً جانبياً..." (المشرفي ع.، د.ت، صفحة12).

كما نجد أن الشيخ عبد القادر المشرفي يحاول تحديد التبعية والمسؤولية فيما كان يقوم به هؤلاء العرب، حيث يشير إلى أنّ قبيلة كرشتل (المشرفي ع.، د.ت، صفحة12-15) وهم المغاطيس الذين يبيعون الناس للإسبان. حيث يؤكد المشرفي أنّ دافع الإستفادة

من الحماية والإمتيازات والإغراءات المادية والمالية إضافة إلى ضعف الإيمان، هي التي جعلتهم يقبلون بمهادنة الإسبان واستخدامهم عملاء وعيون ضد المسلمين (هلايلي ، د.ت، صفحة 146).

وبالتالي جاءت هذه الرسالة في سياق واطار ديني تحت غطاء الترهيب، بحيث يصف العلامة عبد القادر المشرفي المتعاونين مع الاحتلال الإسباني بالعرب المتنصرة والكفار، والمنافقين والمرتدين والزنادقة وعبداء الأصنام والأوثان وغيرها من الصفات (هلايلي ، د.ت، صفحة 146) إذ يتبين أنّ الخصائص الكتابية في رسالة بهجة الناظر هي عبارة عن أسلوب الدّعاية والتشنيع بمن تعاون مع التواجد الإسباني ،وممّا جاء في هذه الرسالة بخصوص هذا الأسلوب ما قاله الشيخ عبد القادر المشرفي: "... هؤلاء الفرق الضالة التي رغبت في غرضه الفاني... فإنتهكوا حرمة الإسلام... فكانوا عيون العدو... وهذا فعل المرتدين... والعجب العظيم منهم، أنّهم مع هذا التلاعب بالأديان وموالات الكافرين لهم بالخدمة والنصيحة، والمبايعة على الطاعة والإعانة... كانوا يعتقدون أنّهم على الإسلام وصحيح الإيمان..." (المشرفي ع.، د.ت، صفحة 37).

ومما سبق ذكره، يمكن أن نستنتج أنّ رسالة بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإشبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، هي بإختصار تشنيع على من كان يساندو يتعاون من المسلمين في بايلك الغرب مع الاحتلال الإسباني وحثّ المسلمين على تجنبهم. بحيث وجّه المشرفي في عرضه هذا رسالة إلى المجتمع الجزائري من أجل الإستعداد لفتح واستعادة مدينة وهران، ولعلّ ذلك هو مقصد المشرفي من تأليفه لرسالة بهجة الناظر بل وحتى تهيئة المسلمين لفتح مدينة وهران للمرة الثانية، بعد أن تألم كثيرا لسقوط وهران الثاني بيد الإشبانيين سنة 1732م، وخاصة أنّه قد شارك وساهم في الجهاد أثناء تحرير مدينة وهران الأول سنة 1708م (بوعزيز، 2004، صفحة 134).

2.2 ابن سحنون الراشدي:

يعد العلامة الشيخ أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الشريف الراشدي (بن حليلة، 2021/12/30، صفحة 286) من أبرز علماء مدينة معسكر بالفترة العثمانية ،وبتحديد خلال (18م)، بحيث ينتسب إلى أسرة علمية تميزت بالعلم وكذلك كثير من أفراد الاسرة، وكان من بينهم والده محمد بن علي بن سحنون الراشدي قاضي القضاة بمدينة معسكر

في فترة الباي محمد الكبير وشيخ ومعلم أبي راس الناصر المعسكري في الجانب الفقهي (عالم ، نوفمبر 1995، صفحة 02)، أمّا نسبه الكامل فهو محمد بن محمد بن علي بن سحنون بن أحمد بن علي بن عيسى بن أبي القاسم بن أحمد بن محمد بن الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر زين العابدين بن الحسين السبط بن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (جلول، 2006، صفحة 156).

1.2.2 مولده ونشأته:

وأما بالنسبة لميلاد العلامة ابن سحنون الراشدي حسب ما ذكرت بعض المصادر يوم: 13 من شهر جمادى الأولى سنة 1167هـ/ 1754م بمدينة معسكر (بوجلال، 2008-2009، صفحة 170)، أين تلقى هذا تكويناً على يد أبيه ثقافة فقهية وأدبية، بحيث حفظ القرآن الكريم في سنّ حديث من عمره، إضافة إلى ذلك تعلم فنون متنوعة فقهية وأدبية. كما حفظ الأحكام والنصوص المتداولة في ذلك العهد (مجموعة، 1987، صفحة 36)، وفي سنة 1185هـ/ 1771م، وبعدها توجه إلى زاوية سيدي يخلف التي تتوطن بجبل الراقوبة والمطلّة على سهل غريس ليدرس على الشيخ بن حوا بن يخلف، وكذلك ليتعرّف على إثر ذلك بإبن محمد بن حواء بن يخلف وعلى العالم عبد القادر الراشدي دفين وهران. بحيث استقرا الشيخ ابن سحنون الراشدي في هذه الزاوية حوالي سنتين درس فيها مختصر خليل (بن حليلة، 2021/12/30، صفحة 287) وابن الحاجب الذي يعتبر عمدة الإمام مالك والتفسير على مدح السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربّنا الحكيم الخبير، كما كذلك درس على يد الفقيه الشيخ بن حوا همزية البصيري وألفية ابن مالك على شرح ابن عقيل (جلول، 2006، صفحة 156).

وزيادة على ذلك، تلقى العلامة ابن سحنون الراشدي على يد علماء غريس ثقافة فقهية وأدبية دلّت على إطلاعه الواسع للأدب والفقه والتاريخ الإسلامي بمختلف مراحلها، ويظهر ذلك من خلال الإجازات التي تحصّل عليها سنة (1187هـ/ 1773م)، وذلك بعد إنتقاله إلى زاوية "اللوزات" التي تتوطن بمنطقة غريس، والتي تعد إحدى المراكز المهمة في العلوم الفقهية بالوطن الغريسي الراشدي، فقد درس بها ابن سحنون الراشدي المعسكري الكثير

من العلوم الشرعية مثل الحديث والتفسير وكذلك المنطق والعروض (بوجلال، 2008-2009، صفحة 171).

والجدير بالذكر أنّ الشيخ ابن سحنون الراشدي المعسكري قد استقرا في زاوية "اللوزات" بمنطقة غريس حوالي ثلاث سنوات، وذلك يرجع لتمييز الزاوية بكثرة العلوم النقلية على العلوم العقلية (غال، نوفمبر 1995، صفحة 02). ليترحل بعدها وذلك في حدود سنة 1776م إلى معسكر فالتحق بالمدرسة المحمدية (بوجلال، 2008-2009، صفحة 171)، بحيث قام بمواصلة دراسته المتخصصة بها على يد الشيخ محمد بن عبد الله الجيلالي الذي أجازته، وعلى يد الشيخ الطاهر بن حوا والشيخ مصطفى بن عبد الله ابن زرفة الدحاوي (بن حليمة، 2021/12/30، صفحة 287). بحيث وجد أحمد بن سحنون الراشدي في المدرسة المحمدية بحاضرة معسكر كبار علماء ساعدوه على تنمية قدرته ومعارفه، بحيث درس بالمدرسة المحمدية حوالي سنتين درس فيها صحيح البخاري وفقه اللغة إلى أن صار فقيها وكاتباً وقاضياً من قضاة الراشدية (جلول، 2006، صفحة 158).

ومن جهة أخرى استطاع العلامة أحمد بن سحنون الراشدي المعسكري أن ينال إعجاب الباي محمد الكبير، الذي عينه مدرساً في المدرسة المحمدية التي قام ببنائها هذا الأخير بمدينة معسكر وكاتباً له في قصره (بن حليمة، 2021/12/30، صفحة 187). كما قام الحاكم الباي محمد الكبير أيضاً بتكليف الشيخ ابن سحنون الراشدي المعسكري بتدريس ابنه الأكبر عثمان، والذي قام بمدحه هذا الأخير في كثير من المواطن عديدة من كتابه "الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني" (غال، نوفمبر 1995، صفحة 02).

وفي هذا السياق نجد أن الباي محمد الكبير من يأمر العالم ابن سحنون الراشدي المعسكري بإختصار كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، فإختصره في حوالي ثمانين كراسة بحيث قام بإيجازته بمائة سلطاني (بوجلال، 2008-2009، صفحة 172). ثم أمره بعدها بجمع ما تناثر من المقالات ومن الكتب والقواميس الطبية، فكان له ذلك حيث أنجز تأليفاً مرتباً أجازته الحاكم الباي محمد الكبير مقابل تلك الاعمال بخمسين سلطاناً (الراشدي، 1973، صفحة 147).

وزيادة على هذا كله، فلقد وجد لابن سحنون الراشدي العديد من التأليف الأدبية نذكر منها كتابه: "شرح العقيقة" وهو عبارة عن شرح لقصيدة شعرية تضم ثلاث مائة وتسعة

أبيات، بحيث نظمها الشاعر السعيد بن عبد الله المنداسي في مدح الرسول ﷺ. بحيث عنون ابن سحنون الراشدي شرحه بـ: "الأزهار الشقيقة المتضوءة بعرف العقيقة" (مجموعة، 1987، صفحة 36)، وتناول فيه موضوعات تتعلق بالأدب والنقد وأيضاً البلاغة، ضف إلى ذلك ذكره بين ثنانيا هذا التأليف لمأثر الباي محمد الكبير. حيث نال هذا التأليف إعجاب عدد كبير من العلماء المعاصرين لإبن سحنون الراشدي مثل: إبن عمار والمختار أنكروف والمفتي إبن الشاهد (غالام، نوفمبر 1995، صفحة 02)، وفي هذا السياق يقول الراشدي ابن سحنون: "... وفي أيامه السعيدة شرحت العقيقة شرحاً ضخماً عجباً وفي مأثره الحميدة ألّفت هذا الموضوع..." (الراشدي، 1973، صفحة 147).

وباعتبار العلامة إبن سحنون الراشدي المعسكري أحد أعضاء ديوان الباي محمد الكبير، ومن المقرّبين إليه فلقد قام بتأليف كتاب تحت عنوان: "عقود المحاسن" وهو عبارة عن كتاب في مجال الأدب جاء فيه مدح الباي محمد الكبير. لكن ما لوحظ هو أنّ ذلك التأليف لم يصل بين يدي الباي لأسباب غير واضحة (ابوالقاسم، 1981، صفحة 183)، وذلك بدليل ما ذكره إبن سحنون الراشدي: "... فلم تسمح الأيام بإيصاله إليه..." (الراشدي، 1973، صفحة 147).

2.2.2 إنتاجه الفكري:

غير أنّ شهرة العالم إبن سحنون المعسكري قد إرتبطت بتأليفه لمخطوط: "الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني"، الذي يذكر فيه تعليقاً مفاده أنّ كتابه هذا -الثغر الجماني- كان في البداية عبارة عن قصيدة أرجوزة (حمدادو، 2005، صفحة 312) وذلك حسب قوله: "هذا وإني قد خدمت حضرته الفخيمة وأعتابه الكريمة بقصيدة أرجوزة سهلة الألفاظ... أوشكت أن تطرب الميت، وإذا جليت معانيها كادت أن تنوب على السراج في البيت، ومن بديع سرها أنّه لاحشو فيها أحتاج إلى الإعتذار عنه..." (الراشدي، 1973، صفحة 92). كما أنه يذكر قصده من وراء ذلك هو تخليد مأثر الرجل الفاتح وتدوين محامده ومفاخره، ليقف عليه آخر هذه الأمة فيعلمون قدره وإحسانه ويترجمون عليه ويدعون له بدليل ما ذكره: "... وبأنّه تميم للبيت ذكرت فيها محاسنه الجهادية وأيامه الجلادية وكيفية توصله إلى هذا الثغر الذي تقاعدت عنه الملوك... وتدوين بعض محامده ومفاخره..." (الراشدي، 1973، صفحة 92-93).

وعلى ما يبدو أنّ الحاكم الباي محمد الكبير قد طلب من العلامة ابن سحنون الراشدي المعسكري شرح الأرجوزة من أجل بلوغ الغرض، فقام بشرح مفرداتها وكذلك مضمونها مبيناً مغزى كثير من مواضعها الغير واضحة. وبذلك سمي المؤلف الذي جمع بين النظم والنثر بـ: الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني (بلراوات ، 2001-2002، صفحة 231) فيها هو العلامة ابن سحنون الراشدي المعسكري في شرح أسباب ودواعي تأليفه لهذا الكتاب إذ يقول: "... إِنِّي عَلِمْتُ أَنَّ لِسَانَ النَّظْمِ حَصُورٌ...وَالنَّثْرُ أَشَدُّ مِنْهُ بَيَانًا إِذْ بِهِ يَصِيرُ الْخَبَرُ عَيَانًا، وَتَبْدِيلُ النَّظْمِ بِهِ تَزْدَادُ عِبَارَتُهُ تَبْيَانًا، فَعَزَمْتُ عَلَى أَنَّ اشْرَحَ تِلْكَ الْقَصِيدَةَ شَرْحًا يُبَيِّنُ أَلْفَاظَهَا وَيُجَلِّي عَلَى مَنْصَةِ الظُّهُورِ أَغْرَاضَهَا...وَقَدْ سُمِّيَتْ هَذَا الصُّوَانِ الْمُحْتَوِي عَلَى لُبَابَةِ وَ الْمَلِيحِ الْمُشْتَمِلِ بِثِيَابِهِ الثَّغْرِ الْجُمَانِيِّ فِي ابْتِسَامِ الثَّغْرِ الْوَهْرَانِيِّ، وَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ الْعَلَامَةُ السَّيِّدُ الْإِسْبَدَرِيُّ ابْنُ حَامِدٍ سَمَّاهُ الدُّرَّ وَالْعَسْجَدَ فِي مَنَاقِبِ الْبَايِ مُحَمَّدٍ..." (الراشدي، 1973، صفحة 94).

كذلك يمكن تقسيم مضمون موضوعات العلامة ابن سحنون الراشدي المعسكري في كتابه الثغر الجماني إلى موضوعات مهمة وأخرى ثانوية فمن الموضوعات المهمة أنّه تناول الفتح الأول لمدينة وهران على يد بكداش باشا وكان ذلك سنة 1708م والفتح الثاني على يد الباي محمد الكبير سنة 1792م، ضف على هذا تطرقه إلى مجموعة من الموضوعات الثانوية التي شملت ذكر لبعض التراجم للعلماء والأولياء، مثل الشيخ الهواري وإبراهيم التازي الشيخ بالقندوز وصالح الدين الأيوبي، مع الإشارة بمسألة الرباط والفتاء وحديثه عن البربر ونسبهم بل وحتى مواطنهم، (حمدادو، 2005، صفحة 313، 316).

ومما سبق ذكره يمكن أن نستنتج أنّ منهجية العلامة ابن سحنون الراشدي المعسكري في كتابة التاريخ شبيهة بطريقة علماء حاضرة معسكر خلال القرن الثامن عشر . وخاصة العلامة أبي راس الناصر المعسكري صاحب كتاب "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" (بوجلال، 2008-2009، صفحة 174)، وأيضا كتاب "الحلل السندسية في فتح وهران والجزيرة الأندلسية" وابن زرفة الدحاوي صاحب "الرحلة القمرية في السيرة المحمدية". بحيث سلك ابن سحنون الراشدي المعسكري نفس منهج معاصريه في الكتابة التي كانت تجمع بين الجانب الأدبي والجانب التاريخي ، ويظهر ذلك من خلال بداية الكتاب بحيث

يقوم المؤرخ بكتابة قصيدة موضوعاتها تاريخية ثم ينتقل إلى شرح هذه الموضوعات شرحاً تاريخياً وعلى منواله الخاص، وهو ما فعله ابن سحنون الراشدي المعسكري في كتابه هذا (غال، نوفمبر 1995، صفحة 02-03).

أمّا بالنسبة لمفهومه عن التاريخ فلا يخرج عن مجال المفهوم التقليدي الذي يربط علم التاريخ بالحكمة وكذلك لإعتبار، حيث أوصى ابن سحنون الراشدي المعسكري بنهج أسلوب الفرس وذلك حسب قوله: "... كانت الفرس تكتب سير ملوكها ويتدارسونها..." (الراشدي، 1973، صفحة 140) كما يدعو إلى تدوين الأخبار لإذكاء الوعي الإسلامي بقوله: "... الغيرة على بلد المسلمين و الإسلام أن تعمرها الأصنام والحر يغار على حرمة الإسلام أشد مما يغار على العيال..." (الراشدي، 1973، صفحة 202).

وايضاً من الملاحظ أنّ جل مواضيع الشيخ ابن سحنون الراشدي المعسكري قد إلتقت فيها ثلاثة أجناس تاريخية، وتتمثل في ماييلي: علم الأخبار والخاص بفتح مدينة وهران وعلم النسب المتعلّق بالباي محمد الكبير وأيضاً علم التراجم المرتبط بالعلماء والأولياء. (غال، نوفمبر 1995، صفحة 03) وبالتالي قام أحمد ابن سحنون بتوظيف هذه الأجناس من أجل صياغة النص التاريخي، ولإعتقاده أنّ مصداقية التاريخ تحيل إلى الحكمة والحكمة لا تتحقّق إلّا من خلال أعمال الأكابر والعظماء- النسب- وبمباركة الأولياء والعلماء- التراجم- وهي الرسالة التي أراد ابن سحنون الراشدي المعسكري إيصالها حين قام بتخصّيص لفتح مدينة وهران كتابه الموسوم بـ: الشجر الجماني في إبتسام الشجر الوهراني (البوعبدلي، 1972، صفحة 273، 292).

وبشكل عام كان العلامة أحمد ابن سحنون الراشدي المعسكري من أعلام وفقهاء وأدباء الموطن الغربي الراشدي، وأحد أبرز المؤرّخين المغمورين الذين كتبوا عن التطوّرات التي حدثت بأوربا آنذاك (جلول، 2006، صفحة 161). والجدير بالذكر أنّ العلامة أحمد ابن سحنون الراشدي المعسكري قد تميز و إنفرد دون بقية المؤرّخين المسلمين المعاصرين له بذكره لقيام الثورة الفرنسية وذلك سنة 1789م، وتبيينه لمضمونها وبعدها الإجتماعي القائم على قلب أسس المجتمع الإقطاعي بل وحتى إدراكه لأهم مبادئها الجديدة حيث فهم العلامة أحمد ابن سحنون الراشدي المعسكري مضمونها فهماً صحيحاً وسليماً كونه من القلائل في المغرب و المشرق الذين تطرقوا إلى الثورة الفرنسية

والتطورات التي إستحدثتها في أوروبا آنذاك (الراشدي، 1973، صفحة 224-225)، فكان بهذا العالم أحمد ابن سحنون من أعلام الراشدية المتميزين والمنفردين ومن أدباءها المُمتمكّنين إلى أن توفي يوم: 17 من شهر ذي الحجة 1249هـ/1833م (جلول، 2006، صفحة 161).

3.2 ابن زرفة الدحاوي:

1.3.2 نشأته:

ينسب الشيخ محمد مصطفى بن عبد الله بن زرفة الدحاوي أحد أعلام وعلماء وشرفاء الوطن الغريسي، بحيث لقب بهذا الكنية وذلك نسبة إلى مرضعته زرفة، (ابن زرفة، د.ت، 147) ودليل ذلك حسب ما أشار إليه الشيخ أبو حامد المشرفي صاحب ياقوتة النسب الوهاجة بأنّه من أولاد سيدي دحو وهي أسرة إدريسية إنتقلت إلى مدينة معسكر وظهرت على مسرح الأحداث قبيل تحرير وهران الثاني سنة 1792م (ابن زرفة، د.ت، صفحة 157). ضف على ذلك أن الشيخ ابن زرفة الدحاوي تولى منصب الكاتب لدى لباي محمد بن عثمان الكبير وكذلك أستاذ بمدرسة المحمدية، ومساعد لرئيس رباط إيفري الذي كان مُخصّصا لمراقبة العلماء والفقهاء بوهران خلال الحصار الثاني عليها سنة 1206هـ/ 1791م (بوجلal، 2008-2009، صفحة 175). بحيث شارك بنفسه في الهجوم الشامل عليها إلى غاية تحرير مدينة وهران بشكل نهائي وكان ذلك سنة 1792م. وبعدها سيقوم الباي محمد الكبير بتكليفه بتسجيل أحداث التحرير، وكذلك تسجيل الأرزاق والمؤن التي كانت تُقدّم أثناء عملية لتحرير لطلبة وعلماء الرباط، بحيث قام بتسجيلها وجمعها ابن زرفة الدحاوي في كتاب الذي كان تحت عنوان: الرحلة القمرية في السيرة المحمدية (بوعزيز، 2004، صفحة 135).

2.3.2 إسهاماته الفكرية والعلمية:

والجدير بالذكر أن الرحلة قد تضمنت جزئين لا يزال الجزء الثاني منها مفقودا، رغم أهميته في ذكر وقائع الفتح الوهراني بدءا من شهر رجب 1205هـ- 1791م إلى رجب 1206هـ- 1792م، وعلى العموم ولقد قسّم ابن زرفة الدحاوي الجزء الأول من رحلته إلى مقدمة وخاتمة وأربعة فصول (حريشة و طالبي، 2022/04/16، صفحة 211)، ودليل ذلك حسب قوله: "... ما تنفّس بنوره صبح وتبسّم وجعلت أمام المقصود مقدمة تشتمل

على أربعة فصول، وخاتمة الأول في الترغيب في الجهاد والتهريب لمن تغافل عنه من العباد، وذكر نبذة مختصرة من فضائله ونشر بعض رتب الشهيد وفواضله... والفصل الثاني في السبب الذي نبض منه عرق الحزم والمثير لهذا العزم... مراقبة للجوّ تجري في ظلّ الجهاد الراهن وتغتتم من دهره غفلة الوهن، وذكر نبذة من المرات المبشرة بهذا الفتح وشكران الفتح والحجج، والفصل الثالث نبذة في مدح هذا السيد الذي أكرمه الله تعالى بهذا الفتح الكريم الرابع في التعريف بوهران وذكر ما حضرني فيمن غزاها في الجاهلية والإسلام، الخاتمة في الترغيب في سكنى وهران وفضل الرباط بها كسائر الثغور على ممرّ الزّمان وسمّيتها بالرحلة القمرية في السيرة المحمدية وها أنا أشرع في المقصود..." (ابن زرفة، د.ت، صفحة 156-159).

وبناء على ما سبق ذكره يمكن نستنتج أنّ الشيخ ابن زرفة الدحاوي قد تناول الجزء الأول من رحلته في مقدمة وخاتمة وأربعة فصول عنونها كالآتي:

- مقدمة.

- الفصل الأول: في الترغيب في الجهاد والتهريب لمن تغافل عنه من العباد، مع ذكر نبذة مختصرة من فضائل الجهاد ورصد بعض رتب الشهيد وفضائله.

- الفصل الثاني: في سبب غزو مدينة وهران مع ذكر نبذة من المراتي المبشرة بالفتح.

- الفصل الثالث: في نبذة من مدح فاتح وهران الباي محمد بن عثمان الكبير (حريشة و طالبي، 2022/04/16، صفحة 211).

- الفصل الرابع: وهو جاء لتعريف بمدينة وهران على عهد أمراء زناتة وعلى عهد المرابطين وبني عبد الواد، بني مرين وعلى عهد الإسبان إلى غاية دخول الأتراك إلى الجزائر، وسياستهم بعد دخولهم إليها مع الإشارة إلى الحملات الأوربية على مدينة الجزائر وذكر من غزى وهران في الجاهلية والإسلام (ابن زرفة، د.ت، صفحة 210-225).

- الخاتمة: جاءت لترغيب في سكن مدينة وهران وفضل الرباط وأجر المرابط بها كسائر الثغور على ممرّ الفترات الزمنية، وأيضا إنطلاق حركة الفتح والمشورة وحصار أهل الطائف شبيهه حصار وهران. ضف إلى ذلك تطرقه إلى إدخال ماء وهران من قبل إبراهيم التازي وتدريب الطبقجية على طريقة الرمي، ثم ذكر لأعمال الرسول ﷺ في غزواته وكذلك

دفن الشهداء، ومناقب وكرامات الأولياء الصالحين في فتح مدينة وهران على يد الطلبة والعلماء (إبن زرفة، د.ت، 237).

والشيء الملاحظ أنّ الشيخ إبن زرفة الدحاوي قد قام بتدوين وتقييد مراحل الفتح مستعينا بخزائن كتب الباي محمد الكبير، الذي قام بتقديم له بمصادر التاريخ الإسلامي وبوثائق إدارية تابعة له حتى يكون العمل دقيقا، وذلك بدليل قول إبن زرفة: "... ولمّا عزمت على الإنطلاق وعقدت لتقييد الرحلة حبل النطاق، دخلت إلى مجلسه الرحيب وتضلّلت بأفياء غصنه الرطيب، فكان من سابع فضله أن زوّدي من خزائن كتبه... ما إستظهر به على ما أنا بصده، فكان كالدليل المعين على السفر بزاده..." (إبن زرفة، د.ت، صفحة 155).

كما يتبيّن أنّ الشيخ إبن زرفة الدحاوي قد إستشهد بالسُنن المأثورة في الجهاد لإضفاء الشرعية الدينية على أفعال الباي محمد بن عثمان الكبير، فإستظهر وقائع تاريخية شهيرة في تاريخ المسلمين من عهد ﷺ والخلفاء الراشدين لتفسير وقائع فتح وهران، في محاولة منه لإجراء مقارنة بين الماضي الإسلامي والفتح الوهراني سنة 1792 م (إبن زرفة، د.ت، صفحة 150)، بدليل قوله: "... فتلقّيت حينئذ حمله بالكاهل واليدين ووضعت على الرأس والعين، وإنتدبت لإملاء تلك السيرة المحمدية وترحيل قمرها بدر السعادة الأبدية وتحرير منازل القمرية... وسيرته مع العدو وحوادثه في الحركة والهدوء، وتأييد أفعاله بالإستشهاد وتطبيقها على السنن المأثورة في الجهاد..." (إبن زرفة، د.ت، صفحة 155).

هذا وقد جمع إبن زرفة الدحاوي في رحلته القمرية بين الشعر والنثر، فها هو في الفصل الثالث من الرحلة يُقدّم نبذة من مدح الباي محمد الكبير فاتح وهران بقوله: "هذا وقد حرّكت مّي محاسنه الحميدة وشمائله الزكيّة المجيدة مديحة جامدة، وهمت عن الإرتياع في غصن القريض..." (إبن زرفة، د.ت، صفحة 199) إلى أن يقول: "هذا ولو جمع ما قيل في هذا السيّد من الشعر الملحون والموزون لضاقّت بجمعه فسائح الدواوين، وكانت عن شيخ نظره العيون أن لاتخلوا مساحته من القُصّاد ولا أفنيته من الشّعراء غالبا والُدّشاء، فكانت تتناسب إليه من الفجّ الداني والعميق..." (إبن زرفة، د.ت، صفحة 200).

ومما قاله المصطفى ابن زرفة الدحاوي في مدح الباي محمد الكبير فاتح وهران سنة 1792م ما يلي:

تَبَسَّمَ ثَغْرٌ فِي الْحَدَائِقِ نَائِرٌ يَدًا يَعْضُّ عَلَى دُرِّ نُورٍ وَهُوَ شَاكِرٌ

عَظْمَةٌ وَصَلَا بِقُبْلَةٍ نَاعِمٌ يُوَاصِلُ صَبَاطًا لِمَا هُوَ هَاجِرٌ
ومن الأمور المهمة التي طلبها الحاكم الباي محمد الكبير، من كاتبه ابن زرفة الدحاوي بتأليف كتاب يجمع فيه فتاوى العلماء حول جوائز الأمراء والملوك. حيث أنجز ابن زرفة ذلك وسماه: "الإكتفاء في حكم جوائز الأمراء والخلفاء" مختتما إياه يوم الثلاثاء فاتح محرم 1199هـ الموافق لديسمبر 1783م، وموضوعه إثبات صحة منح الأمراء والخلفاء أراضي للناس من أجل تميمها. (بوعزيز، 2004، صفحة 135) وهو من بين المخطوطات التي هي مفقودة حتى يومنا هذا، إلا أن المؤرخ الفرنسي إرنست ماريسي (Ernest Mercier) قد أعد تلخيصا له أشار فيه أنه يتضمن أربعة فصول تطرق فيها ابن زرفة إلى حقوق الأمراء الجبائية، وتحديد الأسعار والهديات التي يقبلونها والعمليات التجارية المسموحة للأمراء ووضعية أملاك الناس المثقلين بالضرائب ومصادر بيت مال المسلمين (بلبراوات، 2001-2002، صفحة 232-233).

3.3.2 وفاة الشيخ المصطفى ابن زرفة الدحاوي:

ولعل الاستثناء الوحيد في تاريخ وفاة الشيخ ابن زرفة الدحاوي، فالمشكل نفسه يطرح هاهنا شأنه في ذلك شأن جلّ أعلام هاته الفترة. وبالتالي يصعبُ تحديده وضبطه بدقة، حسب ما اشارت إليه المصادر الغربية وذلك بالإعتماد على ما جاء به مسلم بن عبد القادر والزياني، وينقل عنهما المازاري أنه توفي بسبب الطاعون الذي أصاب بايلك الغرب ويذكر الشيخ العربي المشرفي أن هذا الطاعون وقع ما بين سنوات 1213هـ/1799م-1800م (بوكعب، 2021/12/31، صفحة 425)، مُشيراً إلى أنّه كان أحد تلامذة أبو راس الناصر (مجموعة، 1987، صفحة 34). وبالإعتماد أيضا على إشارة مختار حساني التي مفادها أنّ ابن زرفة قد قدّم مساعدة للشيخ محي الدين والد الأمير عبد القادر، عندما إستدعاه الباي حسن آخر بايات البايك الغربي (ابن زرفة، د.ت، صفحة 147)، وبالتالي فإننا نستطيع أن نضع احتمال وفاة هذا العالم الجليل قبيل الإحتلال الفرنسي للجزائر.

3 خاتمة:

شهدت حاضرة معسكر نهضة علمية وفكرية كبيرة خلال العهد العثماني لاسيما في القرن الثامن عشر الميلادي، إذا قامت بها مدارس ومعاهد ذات شهرة واسعة ومساجد جامعة وزوايا صوفية عريقة نبغ بها أعلام أجلاء وفقهاء ذوو الرأي في الشريعة الإسلامية، وشعراء فحول وحكماء متضلّعون في علم التوحيد ولغويون مرزوقون ومحدثون أمناء ومدققون في الرواية ومتصوّفون في القمّة ومؤرّخون نبغوا في ميدان الدراسات التاريخية، على سبيل المثال لا الحصر نذكر منهم: ابن سحنون الراشدي، عبد القادر المشرفي، والمصطفى بن عبد الله ابن زرفة الدحاوي وغيرهم من علماء.

سعى الباي محمد بن عثمان الكبير جاهداً إلى تقريب العلماء والفقهاء إلى ديوانه ومجالسه بقصره والإحسان إليهم وتكريمهم كلّما حانت المناسبة، لما تميّزوا به من العلم والفقهاء الكبير والإجتهاد العقلاني اليسير القائم على أساس النهضة الفكرية لدرجة أن سُمّيوا بالعلماء الأخيار.

وزيادة على هذا فلقد كان أعلام حاضرة معسكر في مسيرتهم العلمية عوامل حقّرتهم على تصدّر مراتب التفوّق العلمي ودفعتهم إلى التّأليف والتّصنيف في مختلف العلوم والفنون، تجلّت في إحتكاكهم بالعلماء والفقهاء من شتى الاقطار إلى جانب الرحلات فيما بينهم بغرض تبادل المعلومات والأفكار والفتاوى والآراء والنوازل الفقهية، ضف إلى ذلك مشاركة علماء حاضرة معسكر في رباط وهران الذي إنتهى تحريرها سنة 1792م، حيث أدّى علماء وطلبة معسكر ورّا جوهرياً في النّهضة العلمية والفكرية والثقافية وفي حركة الجهاد والمقاومة ضدّ الاحتلال الإسباني لوهران والمرسى الكبير.

ويمكن القول أن تبوّأت حاضرة معسكر عرفت مكانة مرموقة في الفقه المالكي وفي العقائد، الأمر الذي أدّى إلى حدوث مُزاحمة علمية وفكرية بين العلماء دلّت على أنّ مستوى الفكر الفقهي بالبايلك الغربي

والجدير بالذكر أنّ بعض العلماء ممّن مارسوا مهمّة التّعليم والتّدريس بمختلف المؤسسات الثقافية قد تطرّقوا في مجالسهم لبعض العلوم العقلية كالحساب والفرائض والفلك، ولكن دراستها لم تكن إلّا للاستفادة منها في الحياة اليومية البسيطة، وبالتالي

فعدم إهتمام العلماء بهذه العلوم هو الذي جعل الكُتّابات الأوربية تنتقد التعليم في الإيالة الجزائرية خلال العهد العثماني ومما لاشكّ فيه أنّ إنتقادهم فيه شيء من الحقيقة. والجدير بالذكر أيضا أن علماء حاضرة معسكر تركوا ارث ثقافي مادي لايزال موجود الى اليوم بين رفوف المكتبات ،أو على مستوى الخزائن الشعبية،أو في بعض الزوايا الذي يعتبر شاهداً حقيقاً ومرآة عاكسة لحقيقة التاريخية،وتعطي صورة واضحة عن تطور وازدهار الحياة الثقافية والفكرية في حاضرة معسكر خاصة وإيالة الجزائر العثمانية عامة.

4 قائمة المصادر والمراجع:

✓ المصادر:

1. ابن سحنون الراشدي. (1973). *الشجر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني*، تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي. الجزائر: مطبعة البعث.
2. الأغا بن عودة المزاري. (1990). *المزاري الأغا بن عودة: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر*، ج1، ج2، تحقيق: يحيى بوعزيز. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
3. الدحاوي المصطفى ابن زرفة. (د.ت). *الدحاوي المصطفى ابن زرفة: الرحلة القمرية في السيرة المحمدية*، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية (الحامة)، تحت رقم: 3322.
4. عبد الرحمن التوجيني. (د.ت). *عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشرف غريس*. الجزائر: مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية.
5. عبدالقادر المشرفي. (د.ت). *بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر*. تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.
6. المشرفي، أ. (د.ت. :). *ياقوتة النسب الوهاجة وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد مولى مجاجة*.
7. الناصر ابوراس. (1990). *فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته: حياة أبي راس الذاتية والعلمية*، حققه وضبطه وعلق عليه: محمد بن عبد الكريم الجزائري. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

✓ المراجع:

8. بوعزيز، ي. (2004). موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج 1. الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.
9. جيلالي جلول. (2006). معسكر رجال وتاريخ. الجزائر: منشورات دار الأديب.
10. سعد الله ابوالقاسم. (1981). تاريخ الجزائر الثقافي: من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16-20م)، ج 1، ج 2. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
11. عبدالسلام بن سودة. (1996). إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع ضمن موسوعة أعلام المغرب. ج 8. تنسيق وتحقيق: محمد حجي. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
12. الكتاني، ع. (1982). فهرس الفهارس و الأثبات والمعاجم و المشيخات والمسلسلات. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
13. لحسن جاك. (2003). نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مدينة معسكر 1931-1956. الجزائر: دار الغرب للنشر والتوزيع.
14. محمد غالم. (نوفمبر 1995). "الشيخ والثورة الفرنسية: نظرة عالم جزائري معاصر لثورة 1789". وهران: مطبوعات مركز الأبحاث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية.
15. ناصر الدين سعيدوني. (1999). من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
16. يحي بوعزيز. (1995). أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج 1، ج 2. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

✓ الرسائل الجامعية:

17. بن عتو بلبروات. (2001-2002). الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري (1779م-1797م) رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر. وهران: جامعة وهران.
18. عبدالحق شرف. (2006-2007). العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي ت 1895م: حياته وآثاره. الجزائر، جامعة وهران قسم الحضارة الإسلامية (2006-2007) ص: 59، وهران.

19. فوزية لزغم. (2005-2006). الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 924-1245هـ/1518-1830م. رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية (وهران: جامعة وهران 2005-2006)، الجزائر: وهران.
20. قدور بوجلال. (2008-2009). العلم والعلماء في بايلك الغرب 1711-1830م معسكر و مازونة نموذجاً لثقل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث. ، معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية قسم التاريخ، المركز الجامعي مصطفى اسطمبولي، الجزائر: معسكر.

✓ المقالات والملتقيات:

21. الجيلالي بن محمد المشرفي المعسكري الزاوي ، و عبدالكريم المشرفي. (2004-2005). نافذة على بعض علماء معسكر: رثاء الشيخ مصطفى الرماصي لشيخه عمرو الترابي المشرفي. *المجلة الجزائرية للمخطوطات*، (2).
22. حمدادو ب. (2005). الجزائر الحديثة من خلال الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني لابن سحنون الراشدي. " *مجلة الحضارة الإسلامية*. (12)
23. حنيفي هلايلي . (د.ت). عملاء وجواسيس الإسبان في بايلك الغرب على ضوء كتاب بهجة الناظر. " *مقال مستقل*.
24. مجموعة، 26، 1987). أوت-01 ستمبر". (الحياة الروحية في الإسلام: معسكر رجال وتاريخ"، في أعمال ملتقى الفكر الإسلامي الواحد والعشرين، ج 1. معسكر: وزارة الشؤون الدينية.
25. المهدي البوعبدلي. (ربيع الثاني- جمادى الأولى 1392هـ/ ماي- جوان 1972م). "أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي من خلال مخطوط الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني". *مجلة الأصالة* (8).
26. قدور بوجلال. (2016/06/01). اسهامات الشيخ عبد القادر المشرفي في الحفاظ على وحدة إيالة الجزائر أمام الخطر الإسباني. *مجلة الحضارة الإسلامية*، 17 (29).
27. فاطيمة بن حليمة. (2021/12/30). دينة وهران ومقاومتها للغزو الاسباني من خلال الكتابات المحلية- ابن سحنون الراشدي أنموذجاً-. *مجلة المغاربية للمخطوطات*، 17 (1).

28. تقي الدين بوكعبير. (2021/12/31). دراسة وتقديم مخطوط تلخيص الجمان من حياة الحيوان لمحمد المصطفى بن زرفة الدحاوي. *اللغة العربية*، 23(4).
29. بوجلال، ق. (30/01/2022). جهود العالم عبد القادر المشرفي في الرد على القبائل المتعاملة مع الاسبان بوهران على ضوء مؤلفه "بهجة الناظر". *مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية*. 13(1).
30. جمال حريشة، و علي طالبي. (2022/04/16). دور الرحلات العلمية في التأريخ لفتح وهران الثاني 1792 (رحلة العالم مصطفى بن زرفة الدحاوي المسماة بالرحلة القمرية في السيرة المحمدية- أنموذجا). *دراسات تاريخية*، 10(1).
- المصادر والمراجع الأجنبية:

31. Henri , P. (1935). L'Algérie vue par deux voyageurs musulmans en 1877-1878. *in : Revue Africaine* .